

## (2)

ناصر. مقالته في الوجود:  
قراءة نقدية في «المقدمة» المالكية. ط 2.  
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 2019.  
143 ص.

الغرض من هذا الكتاب للفيلسوف اللبناني  
ناصر ناصر - كما يأتي في توطئته -  
مزدوج؛ فهو استجابة لحاجة الاهتمام بالفكر  
الفلسفي العربي المعاصر بغية إبرازه  
وتحليله وتقييمه واستيعابه من جهة؛ ومن  
جهة ثانية، استعادة انتقالية لأفكار طرحت  
في كتابات سابقة تتمحور حول ضرورة  
الربط بين فلسفة الإنسان وفلسفة الوجود.  
وفي هذا السياق، يتناول ناصر في كتابه  
هذا قضية الوجود في فكر المفكر اللبناني  
شارل مالك بما يخدم قضية تعميق النظر في  
العلاقة بين فلسفة الوجود وفلسفة الإنسان،  
وذلك من خلال تحليل نقدي لكتاب المقدمة  
لشارل مالك بوصفها سيرة ذاتية فلسفية  
يمثل مضمونها الفلسفي خلاصة نظريته إلى  
الوجود ومراتبه، وهي عند مالك: الرياضيات  
والعلم والكوزمولوجيا والحلولية والمثالية  
والكيانية والحياتية والإيمان (أعلى مراتب  
الوجود).

وإذ نتحرك في رحاب سيرة ذاتية  
فلسفية - كما يرى ناصر - ، يفتتح شارل  
مالك سيرته الذاتية بعبارات الغربة، الغرابة  
والتغرب، فيرى أن الكائن الإنسان غريب -  
«غريب في امتلاكه سرّاً وغرابة. وغريب  
هو في كونه متغرباً - غريب متغرب. وسر  
أسراره يكمن في ذلك التغرب إياه». والغربة  
المقصودة هي الغربة النفسية الميتافيزيقية.  
وفي رأي مالك ليس وجود الإنسان وغربته  
في الدنيا نتيجة مصادفة وليس مصيره قدراً

محكوماً بالمصادفة. ثمة حقيقة متعالية،  
وأخيرة يشير إليها شعور الإنسان بالتغرب.  
وهذه الحقيقة هي ما يجدر بالإنسان أن  
يسعى إلى اكتشافه والاتصال به والاستقرار  
فيه. فالتجربة التي يعبر عنها تركيز مالك  
على الغربة والتغرب هي تجربة «التحرق  
إلى الوجود الكامل، إلى الكيان الأسمى، إلى  
الحقيقة الحقّة». فهل هذا الوجود الكامل  
موجود بالفعل؟ وما هي طريق اكتشافه  
والوصول إليه والعودة إلى أحضانه؟

من هنا - كما يوضح ناصر ناصر -  
تبدأ طريق البحث عن الحقيقة عند شارل  
مالك والاتحاد بها. إنها الطريق التي تجتاز  
«مراتب الوجود» وصولاً إلى الوجود الكامل  
المطلق، إلى الكيان النهائي، «الكيان الذي  
عندما نبلغه، نعرف سر غرابتنا، وهو ما  
كنا ننشد في توقنا إلى العودة من غربتنا».  
وهذا الوجود الكامل المطلق هو الشيء  
المطلق الذي لا تدركه العلوم، ولا تدركه  
الفلسفة إدراكاً صحيحاً، وبخاصة إذا فهمت  
المطلق على نحو حلولي أو مادي. فلا سبيل  
إلى إدراكه، إذا كان ثمة سبيل، سوى سبيل  
الإيمان الإبراهيمي. وعلى هذا النحو يقدم  
مالك المقدمة التي يضع فيها خلاصة نظريته  
إلى الوجود.